مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠٠٧/١٧

الأحد ٢٩ نيسان

أحد المخلّع

تذكار القديسين الرسولين

ياسون وسوسيباتُرس

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر الخامس

الرسالة

(أعمال ٩: ٣٢-٤٣)

في تلك الأيامِ فيما كان بطرسُ يطوفُ في جميع الأماكنِ نزلَ أيضاً إلى القديسينَ الساكنينَ في لُدَّة* فوجدَ هناك إنساناً اسمُه أينياسَ مضطجعاً على سرير منذ ثماني سنينَ وهو مخلَّعٌ فقالَ له بطرسُ يا أينياسَ يشفيك يسوعُ المسيحُ قُم وافترشْ لنفسك. فقام للوقت* ورآهُ جميعُ الساكنينَ في لُدَّة وسارون فرجعوا إلى الرب* وكانت في يافا تلميذةٌ اسمها طابيتا الذي تفسيرهُ ظَبية. وكانت هذه ممتلئةً أعمالاً صالحةً وصَدقاتٍ كانت تعملُها* فحدث في تلك الأيامِ أنَّها مَرِضت وماتت. فغسلوها ووضعوها في العلِّية* وإذ كانت لُدَّةُ بقرب يافا وسمع التلاميذُ أنَّ بطرسَ فيها أرسلوا إليه رَجُلَيْن يسألانِه أن لا يُبطئَ عن القدوم إليهم* فقامَ بطرسُ وأتى معهما. فلمَّا وصل

في انتصاف العيد

الأربعاء الذي يقع بين أحد المخلّع وأحد السامرية، أي بعد خمس وعشرين يوماً من عيد القيامة، يُعرف في الكنيسة بنصف الخمسين. فهو يتوسط الفترة الممتدة من الفصح إلى العنصرة تمامًا كما توسط أحد الصليب فترة الصوم الكبير. وكما شدَّدنا الصليب في الصوم لنتابع جهادنا حتى نعاين القيامة المجيدة، يأتي عيد نصف الخمسين ليذكرنا بعطية الروح القدس الذي سيحل علينا يوم العنصرة، يوم الخمسين. هذا الروح الذي وعد الرب قبل انطلاقه إلى الآلام (يو ١٦: ٧) وبعد قيامته (لو ٢٤: ٤٩) أنه يرسله على التلاميذ.

في يوم الأربعاء نصف الخمسين يُقرأ في الكنيسة المقطع الإنجيلي (يو ٧: ١٤-٣٠) حيث الحديث عن صعود الرب يسوع إلى الهيكل في انتصاف عيد المظال. وعيد المظال أو الحصاد هو أحد الأعياد السنوية العبرانية الثلاثة، إلى جانب الفصح والخمسين (عيد الأسابيع)، التي تطلب فيه الشريعة (تث ١٦:١٦) أن يحضر جميع الذكور أمام الرب في هيكل أورشليم. وهذا ما يفسر وجود عدد كبير من الناس في أورشليم عندما صعد يسوع إلى أورشليم. عيد المظال أيضًا هو ثاني أعياد الحصاد لدى العبرانيين (في آخر الصيف) بعد عيد الأسابيع الربيعي، في اليوم الخمسين بعد الفصح. في هذا العيد يصعد بنو إسرائيل إلى الهيكل ويقدمون للرب بواكير كل ثمار الأرض وبواكير نتاج البيدر والمعصرة (تث ١٦: ١-١١) ليعطى منها للفقير والغريب والأرملة، فيبارك الرب المحصول ويفرح الجميع بعمل أيديهم (تث ١٦: ١٣-١٥). يقام هذا العيد لمدة سبعة أيام ابتداء من الخامس عشر من الشهر السابع (بعد الفصح)، أي شهر تشرين (لاو ٢٣: ٣٣-٤١)، يُقرّب خلالها الشعب الذبائح للرب. وتتوّج هذه الأيام بيوم ثامن «يكون لكم محفلٌ مقدس تقرّبون وقودًا للرب، إنه اعتكاف، كل عمل شغل لا تعملوا» (لاو ٢٣: ٣٦). خلال الأيام السبعة يسكن الشعب في مظالّ«لكي تعلم أجيالكم أني في مظالّ أسكنتُ بني إسرائيل كما أخرجتهم من أرض مصر. أنا الرب إلهكم. فأخبر موسى بني إسرائيل بمواسم الرب» (لاو ٢٣: ٤٣-٤٤). لذا كانت أيضاً تقرأ شريعة موسى مرة كل سبع سنين أمام الشعب. إلى جانب الطقوس التي كانت ترافق تقديم ذبائح الصباح والمساء من حمل لسعف النخل وأغصان

صعدوا به إلى العِلّية ووقف لديه جميعُ الأرامل يبكينَ ويُرينَهُ أقمصةً وثياباً كانت تصنعُها ظَبيةُ معهنَّ* فأخرج بطرسُ الجميعَ خارجاً وجثا على رُكبتيهِ وصلّى. ثمَّ التفتَ إلى الجسدِ وقال يا طابيتا قومي. ففتحت عينيها. ولما أبصرتْ بطرسَ جلست* فناولها يَدَهُ وأنهضها* ثم دعا القديسينَ والأراملَ وأقامها لديهم حيَّةً* فشاع هذا الخبرُ في يافا كلِّها. فآمنَ كثيرون بالرب.

الإنجيل

(يوحنا ٥:١–١٥)

في ذلك الزمان صعِد يسوعُ إلى أورشليم* وإنَّ في أورشليم عند بابِ الغنم بِرْكةً تُسمَّى بالعبرانية بيتَ حِسدا لها خمسةُ أروِقة* كان مضطجعاً فيها جمهورٌ كثيرٌ من المرضى من عميانٍ وعُرْجٍ ويابسي الأعضاءِ ينتظرون تحريكَ الماءِ* لأنَّ ملاكاً كان ينزل أحياناً في البِرْكةِ ويحرِّك الماء. والذي كان ينزلُ أولاً من بعدِ تحريكِ الماء كان يُبرأ من أيِّ مرض اعتراهُ* وكان هناك إنسانٌ به مرضٌ منذ ثمانٍ وثلاثين سنةً* هذا إذ رآهُ يسوعُ مُلقًى وعلِم أنَّ له زماناً كثيراً قال له أتريدُ أن

الصفصاف والفاكهة، كانت هناك عادة أخرى شائعة في زمن المسيح وهي أنه في مدة العيد، كل يوم، عند الذبيحة الصباحية والمسائية، كان كاهن يملأ وعاءً ذهبيًا ماءً من بركة سلوام (حيث شفى الرب الأعمى) ويحمله إلى الهيكل حيث كان يُستقبل بهتاف وبوق وكلمات أشعياء النبي: «فتستقون مياهًا بفرح من ينابيع الخلاص» (١٢: ٣). ربما هذا ما دفع الرب يسوع لأن يعلن في اليوم الأخير من العيد «إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. مَنْ آمن بي كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حي» (يو ٧:٣٧–٣٨).

عادة أخرى كانت ترافق الاحتفالات هي إضاءة أربعة مصابيح كبيرة توضع على منارتين فتضيء ليس فقط دور الهيكل بل المدينة كلها. وهذا ما دفع بالرب في صباح اليوم التالي لانتهاء العيد أن يقول «أنا هو نور العالم» (يو ٨: ١٢).

يُذكر أن عيد المظال يسبقه «يوم الكفارة» أو «يوم التكفير» في العاشر من الشهر السابع (لاو ١٦ و٢٣: ٢٦–٣٢). وهذا هو يوم صوم واتضاع وتكفير عن خطايا الأمة، وفيه تقدّم ذبائح التكفير عن المقدس والكهنوت والشعب. في هذا اليوم فقط من السنة يدخل رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس ليقدّم البخور ويرش المذبح بدم العجل المذبوح. ثم يأخذ تيسين مقدِّمين كذبيحة خطيئة عن الشعب ويلقي عليهما القُرعة. التيس الذي تصيبه القرعة يُذبح ويرش رئيس الكهنة دمه في الهيكل وقدس الأقداس كفارة عن خطايا الشعب. أما التيس الحي فيضع رئيس الكهنة يده على رأسه معترفًا بخطايا الشعب وناقلاً إليه هذه الخطايا، ثم يطلق التيس إلى الصحراء حاملاً خطايا الأمة ومثقلاً بخطايا ليست خطاياه. بعد أن يكفر الشعب عن خطاياه ينتقل ليعيّد عيد الحصاد والمظال.

الرسول بولس يوضح في الرسالة إلى العبرانيين (٩: ١–١٤و١٣و١١:١١–١٣) أنه مع الفداء الذي أتمَّه الرب على الصليب صار المسيح نفسه جوهر ما يتم في يوم التكفير. فهو في الوقت نفسه رئيس الكهنة وذبيحة الفداء. فقد قدّم دمه كفارة عن خطايا الشعب وحمل خطايا الناس. هو «المقرِّب والمقرَّب» كما نقول في القداس الإلهي.

بالعودة إلى عيد «نصف الخمسين» ونظرًا لهذا الرابط المعنوي بين عيد الكفارة وعيد المظال، رتب آباء الكنيسة أن يُقرأ المقطع الإنجيلي (يو ٧: ١٤–٣٠) حيث ذكر انتصاف عيد المظال، وكأننا بهم يريدوننا أن نتابع الاحتفال بفرح القيامة المحيية، بفرح الصليب المعطي الحياة، بعمل الرب يسوع الخلاصي الذي أتمه على الصليب. نصف الخمسين يأتي بعد الفصح كما أن عيد المظال يأتي بعد عيد التكفير. كما أن موقع هذا المقطع الإنجيلي في إنجيل يوحنا يقع بعد حادثة شفاء المخلّع التي نقرأها في الكنيسة اليوم. وهكذا فإننا من خلال المخلّع نحتفل بالنِعَم التي أُغدقت على البشرية عبر عمل يسوع الفدائي، عبر كفّارته عنا. ألم يقل الرب للمخلع «ها قد عوفيت فلا تعد تخطئ لئلا يصيبك أشر» (يو٥:١٤)؟ هذا هو هدف التجسد أن يخلّصنا من الخطيئة. شفاء المخلّع هو صورة شفاء البشرية كلها.

عندما طُعن جنب الرب على الصليب نزل دم وماء، دم الفداء عن خطايانا وماء الحياة الجديدة التي يمنحها الرب للذين يؤمنون به، وهذا «الماء الحي» الذي قال عنه الرب في آخر أيام عيد المظال أنه سوف يجرى من بطن الذين يؤمنون به (يو ٧: ٣٨). هذا الماء الحي الذي ينبع لحياة أبدية سوف نقرأ عنه في أحد السامرية الأسبوع المقبل، وهو الماء الذي جعل الأعمى يبصر أن يسوع هو

تَبرأ* فأجابه المريضُ يا سيّدُ ليس لي إنسانٌ متى حُرِّكَ الماءُ يُلقيني في البِركة بل بينما أكونُ آتياً ينزلُ قبلي آخرُ* فقال لهُ يسوعُ قُمْ احمِلْ سريرك وامشِ* فللوقتِ بَرئَ الرجلُ وحمل سريرَهُ ومشى. وكان في ذلك اليوم سبتٌ* فقال اليهود للذي شُفي إنَّهُ سبتٌ فلا يحِلُّ لكَ أن تحمِلَ السريرَ* فأجابهم إنَّ الذي أبرأني هو قال لي إحملْ سريرَك وامشِ* فسألوهُ مَن هو الإنسانُ الذي قال لكَ احمِلْ سريرَك وامشِ* أمَّا الذي شُفي فلم يكُن يعلمُ مَن هو. لأنَّ يسوعَ اعتزلَ إذ كان في الموضِعِ جمعٌ* وبعدَ ذلك وجدهُ يسوعُ في الهيكل فقال لهُ ها قد عوفيتَ فلا تَعُدْ تُخطئُ لئلاَّ يُصيبَكَ أشرُّ* فذهبَ ذلك الإنسانُ وأخبر اليهودَ أنَّ يسوعَ هو الذي أبرأهُ.

تأمل

إذ قد سمعنا ان الذين بهم الأمراض والعاهات كانوا يتغرَّبون عن بلادهم ويهجرون أوطانهم وينفقون أموالهم ويكابدون مشقَّاتٍ عظيمة طالبين الشفاءَ من الأمراض المعترية أجسادهم الصائرة إلى التراب، حتى ابن الله. الرب فسّر قصده عن الماء الحي: «قال هذا عن الروح القدس الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه» (يو ٧: ٣٩). من هذا المنطلق يقف عيد نصف الخمسين متوسطًا بين الفصح والعنصرة. في الفصح أتمّ الرب عمله الخلاصي وفي العنصرة بدأت البشرية تنال بشكل محسوس نِعَم عمل يسوع الخلاصي عندما انحدر الروح القدس على الجميع. هذا الروح نفسه الذي يناله كل واحد منا عندما ينزل في جرن المعمودية.

دعوة النبي إرمياء

يكتسي الفصل الأول من كتاب إرمياء النبي أهميّةً كبرى، وذلك لا لأنه يمدّنا بمعلومات قيّمة عن النبي فحسب، بل لأنّه يعكس كيفيّة تدخّل الله في حياة كائن بشريّ، ليجعل منه أداةً يذيع بواسطتها كلمته. فكلمة الرب كانت إلى إرمياء «في أيّام يوشيًّا» (إر ١: ٢)، أي أنّها اقتحمت حياته وغيّرتها على نحو جذريّ. وهذا يظهر في الفصل الأول الذي يسجّل فيه النبيّ كيفيّة ظهور الله له، مع أنّه كان ينتمي إلى السلالة النبويّة.

الله هو الذي يأخذ المبادرة ويقتحم حياة النبي. وهو يقوم بهذا عبر تشديده على أنّ اختيار إرمياء ليكون نبياً كان أمراً مقضيًّا من قبل ولادته: «قبلما صوَّرتُكَ في البطن عرفْتُكَ وقبلما خرجتَ من الرَّحم قدَّستُكَ» (إر ٥:١). هذا يحيلنا، طبعاً، إلى اختيار أصفياء آخرين كانت حادثة ولادتهم علامةً على هذا الاختيار. فصموئيل يخاطبه الله، وهو بعد صبيّ صغير يخدم، إلى جانب الكاهن عالي، في هيكل الرب (١صمو ١:٣-٩). ويوحنا المعمدان يُعلن الله عن ولادته، بواسطة ملاكه جبرائيل، وهو لم يُحبل به بعد (لو ١). وكذلك الأمر بالنسبة إلى الرب يسوع الذي تفوق ولادته ولادة أيّ نبيّ آخر، لكونها بتوليّة. واللافت أنّ بولس الرسول نفسه سيسترجع كلمات النبيّ إرمياء هذه معتبراً أنّ دعوته التي حدثت وهو في طريقه إلى دمشق إنّما كانت نتيجة قرار اتّخذه الله، وبولس بعد في أحشاء أمه «ولكن لمَّا سَرَّ اللهَ الذي أفرَزني من بطنِ أمي ودعاني بنعمته أن يُعلِنَ ابنه فيَّ لأُبشِّرَ به بين الأمم» (غلا ١:١٥-١٦).

الأمر الثاني في كلمات الله الأولى التي يوجّهها إلى إرمياء قوله إنّه جعله «نبيًّا للأمم» (١:٥). هذا يدلّ على أنّ إرمياء، في عرف الله، لم يكنْ نبيًّا مرسلاً إلى إسرائيل فقط، بل إنّ مهمّته النبويّة تطاول، أيضاً، الشعوب الأخرى. هذا، طبعاً، لا يعني أنّ إرمياء كان يقصد ملوك أمم آخرين ليتنبأ أمامهم، بل يشير إلى أنّ ما تنبّأه على إسرائيل يندرج ضمن مخطّط الله بالنسبة إلى الشعوب كلّها. فربوبيّة الله، في كتاب إرمياء، لا تنحصر في كونه إله إسرائيل، بل تمتدّ إلي الشعوب الأخرى. وهذا ما يفسّر أنّ كتاب إرمياء يشتمل، أيضاً، على نبوءات تختصّ بمصر والفلسطينيين وعمّون وموآب وآدوم والممالك الآرامية الأخرى في سورية، فضلاً عن النبوءات المختصّة بمملكة البابليّين (إر٤٦-٥٠)، وهي، في زمن إرميا، عدوّ مملكة يهوذا اللدود، هذه العداوة التي ستؤول إلى دمار مملكة يهوذا على يد نبوخذنصّر، الملك البابليّ (٥٨٧ ق.م.). فكما يعاقب الله شعبه، بسبب معاصيه، كذلك هو ينظر إلى الأمم الأخرى ويحاسبها عمّا تقترفه من مساوئ. هذا الخطّ العالميّ، الذي يعتبر الرب إله الأمم جميعاً، سيتوسّع لدى الأنبياء الذين أتوا بعد إرمياء، ولا سيّما لدى النبيّ إشعياء الذي اعتبر أن الملك الفارسيّ قورش هو مسيح الله (إش ٤٥: ١). «آه يا سيِّدُ الرب إنّي لا أعرف أن أتكلّمَ لأني ولدٌ»

ان هذا المخلَّع أقام لأجل ذلك عند تلك البركة كل هذه السنين، فكيف يسوغ لك يا هذا أن تتغافل عن العناية بأمر نفسك الخالدة العديمة الفساد. ولعلَّها تكون في الأكثر رمداءَ العين قريحة الكبد جرباء الجلد مخلَّعة المفاصل مشتملة على أنواع الأسقام وأنت لا تنظر إلى أمراضها وتهتمُّ بمداواتها. وكيف تكون مؤمناً بالمسيح ومولوداً من الماءِ والروح ومعترفاً بقيامة الأموات ومؤمّلاً سعادة الأبد ومتقلداً سلاح الصليب وتفعل ما لا تفعلهُ الخوارج. وإذا كان ربنا لهُ المجد اشترط على الذين يطلبون الملكوت أن يزيد برُّهم على الكتبة والفريسيين وهم كانوا يقومون بالعشور ويحملون الأبكار والنذور ويصومون كثيراً ويقدّمون القرابين عن خطاياهم فكيف يوجد بينكم الآن المهملون أنفسهم والسائرون بهوى قلوبهم الذين يتلقَّبون بالمسيحية فقط وهم غير عاملين بالوصايا المسيحية بل يرتكبون أكثر الخطايا. وإذا كان الله قد عاقب العُتاة والغلاظ الرقاب والغُلف القلوب على تعدّي الشريعة بالعقاب الشديد فماذا عساهُ يعاقب الخطأة من المؤمنين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

(إر ٦:١). من المرجّح أنّ هذه الآية تدلّ على أنّ ظهور الله لإرمياء تمّ وهو في سنّ مبكّر. بيد أنّ عمر النبيّ لا يشكل أي معيار في نظر الله. فالقوّة لا يستمدّها النبيّ من خبرته أو من معرفته العقليّة، واللتين تنموان، بطبيعة الحال، كلّما طعن في السنّ، بل هو يستمدّها من الله نفسه الذي يدعمه رغم حداثته: «لا تخف من وجوههم لأني أنا معكَ لأنقذَكَ يقولُ الرب». هذه القوّة يستمدّها النبيّ من كلمة الله التي يضعها الرب، تواً، في فمه: «ومدَّ الرَّبُّ يدَهُ ولمسَ فمي وقالَ الرَّبُّ لي ها قد جعلتُ كلامي في فمِكَ» (إر ٩:١). إنّ صورة النبي الذي يتناول كلمة الله بفمه هي في غاية الأهميّة إذ تعبّر عن مدى لصوق النبيّ بهذه الكلمة، أي مدى تمثّله إيّاها في كيانه. والحقّ أنّ رمزيّة الفم تطالعنا في غير دعوة نبويّة. فملاك الله يطهّر فم إشعياء بجمرة يلتقطها من على المذبح الإلهي (إش ٦:٦–٧). والنبيّ حزقيال، في دعوته، يلتهم السفر الذي يحتوي النبوءات ضد إسرائيل (حز ١:٣–٣). والأكيد أنّ رمزيّة الفم في كلّ هذه النصوص ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأنّ كلمة الله تخرج من فم النبيّ. فالفم هو الأداة التي يلفظ النبيّ بواسطتها إلى الخارج، إلى مسامع البشر، ما يريد الله تبليغه.

«قد وكّلتُكَ هذا اليوم على الشعوبِ وعلى الممالكِ لِتقلَعَ وتَهدِمَ وتُهلِكَ وتنقضَ وتبني وتغرسَ» (إر١:١٠). من الواضح أنّ الربّ يستخدم، في قوله هذا مجموعة صفات لا تليق إلاّ بالملك. فالملك هو من يضطلع بسلطة الرئاسة على الأمم. إلاّ ان ملوك إسرائيل لم يعملوا بحسب وصايا الله، فعوضاً عن رعاية الشعب والاهتمام بفقرائه ومساكينه، انصرفوا إلى رعاية أنفسهم. لذا، الله، هنا، ينيط مسؤوليّة المُلْك بنبيّه إرمياء. والملاحظ أنّ هذه المسؤولية لا تقتصر على التخلّص من الوضع الشاذّ السائد، وذلك عبر القلع والهدم والإهلاك والنقض، بل تمتدّ إلى إنشاء وضع جديد يعبّر عنه فعلاً البناء والغرس. إرمياء سيغرس ويبني، بكلماته النبويّة، الوضع الجديد الذي سيعمل الله على تأسيسه، وذلك بعد اندثار القديم بسقوط المدينة وهيكلها تحت ضربات البابليّين: «ها أيامٌ تأتي يقولُ الرَّبُّ وأقطعُ مع بيتِ إسرائيلَ ومع بيتِ يهوذا عهداً جديداً، ليسَ كالعهدِ الذي قطعتُهُ مع آبائهم... أجعلُ شريعتي في داخِلِهم وأكتُبُها على قلوبهم وأكونُ لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً» (إر ٣١:٣١–٣٣).

انطلاقاً من هذه الرؤية، يُعلن الله في دعوته إرمياء بطلان المدينة القديمة أورشليم، التي فاقت في فجورها وخطيئتها كلّ حد، فيصبح النبيّ هو مدينة الله، لكونه المكان الذي تظهر فيه كلمة الله بقوّة: «هأنذا قد جعلتُكَ اليوم مدينةً حصينةً وعمودَ حديدٍ وأسوارَ نُحاس» (إر ١٨:١). بإزاء هذا، ليس مستغرباً أن يعلن يسوع، في إنجيل يوحنا، أنّه هو هكيل الله الجديد: «أُنقُضوا هذا الهيكلَ وفي ثلاثةِ أيَّامٍ أُقيمُهُ. فقالَ اليهودُ في ستٍ وأربعينَ سنةً بُنِيَ هذا الهيكلُ أفأنتَ في ثلاثةِ أيَّامٍ تُقيمُهُ. وأمَّا هو فكانَ يقولُ عن هيكلِ جسده» (يو٢:١٩–٢١). مرّةً أخرى، يشهد العهد الجديد، إذاً، على تأصّل بشارة يسوع في فكر أنبياء العهد القديم، هذا الفكر الذي كان النبيّ إرمياء أحد أبرز من أفصحوا عنه.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb